الدين والحضارة

مختار عزيز

نشر في كتاب

الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد

(سلسلة مشروعات ثقافية)

مركز البحوث والدراسات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، الطبعة الأولى

1421 هـ /2000م

أعيد نشره إلكترونيا في رمضان
1439 / مايو 2018

الدين والحضارة

مختار عزيز(*)

إن خيار السلبية أو الرفض خيار مستحيل غير قابل للتحقيق في الواقع بحكم طبيعة هذا العصر الذي نعيشه، حيث اختزلت المسافات وتحطمت الحواجز وبات لا مجال للانغلاق والعزلة المخالفة أصلاً لروح وحضارة الإسلام العالمية المنفتحة والمبشرة.

اتسمت مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بعودة الاهتمام، على نحو ملحوظ في كتابات المفكرين والاستراتيجيين الغربيين، بالدين كمكوِّن أساس ومصدر إلهام للحضارة الإنسانية، بعد رحلة شاقة ومضنية، استغرقت حركة الإنسان، ووسمت ثقافاته بسمات معينة منذ عصر النهضة وحتى تاريخنا الراهن، حيث تشاغل الإنسان بالعلوم المجردة، وانبهر بالتقنية الحديثة والفلسفات الوضعية، حتى كاد يحولها إلى أصنام تعبد من دون الله.

ولما كان للغرب المعاصر دور متغلب في صياغة حضارة هذا العصر، وبسبب تأثير ما كانت عليه العلاقة في بداية عصر (النهضة) بين الغرب والدين من قطيعة، وما سادها من جفاء، وما انتهت إليه من انفصام كامل بين ما هو روحي وما هو عقلي، بين ما هو عقدي وغيبي وما هو حياتي واجتماعي وسياسي، لهذا كله سادت نزعات واتجاهات فكرية وفلسفية تولدت عنها تيارات اجتماعية وسياسية حاول أصحابها أن

(*) باحث... (ليبيا)، الأمين العام لمركز دراسات العالم الإسلامي في قبرص.

يهمشوا دور الرسالات السماوية في تكوين تصورات للكون والحياة والمجتمع، وسعوا إلى تكريس تفسيرات تخلص إلى أن تلك الظاهرة الدينية أو «ظاهرة التدين» ما هي إلا نقيصة من نقائص أو خصائص المجتمعات البدائية المتخلفة، ومن ثم فالدين باعتباره هذا لا مكان له في عالم اليوم.

ولعلنا نذكر أن بواكير أطروحات علم الاجتماع كانت تعد بأن الدين سينتهي، وأن الله لن يكون موجودًا خلال بضعة عقود من الزمان. إنها مرحلة قد انتهت مخلفة وراءها رصيدًا هائلاً من خبرة الإنسان الذي خلقه الله سبحانه أكثر شيء جدلاً، وتحول إلى خصيم لله تعالى، وها هو إنسان القرن الواحد والعشرين يعيد قراءة نفسه ويبحث في أرففه القديمة، وبين ثنايا أسفاره التي ظن يومًا أنها ضروب من الهلوسات الغيبية، ليجد أن الدين كان على مر العصور روح العالم.. وكما يتهاوى جسد الإنسان بعد خروج الروح منه، فإن العالم ينهار إذا ما زال الدين عنه.

إن بلورة مفهوم للحضارة انطلاقًا من إدراكنا لرسالة الإنسان على ظهر الأرض، التي غايتها عمارة الكون، هو السبيل لتحقيق العدل بين الناس جميعًا وإقرار قاعدة المساواة بين بني البشر بدون تمييز أو تفضيل إلا بالتقوى والعمل الصالح. في هذا الإطار من الفهم للقيم المستندة إلى نص ديني وروحه، يمكننا القول: بأن التمايز بين الحضارات لا يعني بالضرورة التنافر والتنابذ ومن ثم الصراع بالنتيجة، وهنا يكمن اختلافنا مع «الحتمية الغربية» الجديدة التي يروج لها بعض مفكري الغرب الذي أسس حضارته المعاصرة مرتكزًا إلى فلسفتين اقتصاديتين اجتماعيتين رئيستين، جمع بينهما قاسم مشترك -على الرغم من تناقضهما- هو إنكارهما لدور الدين خارج نطاق المعابد، وتناقضهما مع المنطلقات المعرفية والتوحيدية لله والكون والحياة والإنسان.

ولما كان أكبر تحد تواجهه الليبرالية الرأسمالية في هذه المرحلة هو الانهيار المفاجئ لنقيضتها الشمولية الاشتراكية واختفاء منظومتها العالمية، أو ما يعبر عنه في السياسة

باختفاء العدو التقليدي للغرب، فقد كان لا بد للقوى الغربية السياسية ومنظومة تحالفاتها ومؤسساتها من إيجاد مبرر لاستمرارها يضمن المحافظة على مصالحها عبر خلق عدو بديل، وتضخيم صورة خطر جديد هو الإسلام في هذه المرة، بعد أن أعدت لهذه المرحلة عدتها، بأن استطاعت أن تظهر وكأنها أقرب إلى الدين من نقيضتها الشمولية الاشتراكية، بل إنها حامية للمسيحية وصاحبة لوائها، وأن تروج لزعمها بأن جولة الصراع القادمة والتي ليس منها بد ستكون حتمًا بين حضارة الليبرالية الغربية المتسمة بنزعة الهيمنة العالمية كقائدة لجموع المسيحيين في العالم، وبين حضارة الإسلام وكل القوى المرشحة للوقوف في وجه إخضاع العالم وسكانه إلى عبودية «الليبرالية».

إنه حقًا أوضح تطبيق لنظرية «الإمبريالية الحضارية»، التي وضعها عالم الاجتماع الأمريكي «فيكتور بالدريج» وخلاصتها: إن كل حضارة لها قيمها الخاصة. وهي تساند هذه القيم حين تهاجم قيم المجتمعات الأخرى، وهذا الهجوم قد يصل أقصى مداه فيتحول إلى إمبريالية حضارية، أي محاولة من مجتمع ما لفرض قيمه على مجتمع آخر.

هكذا يلجأ جهابذة الفكر الاستراتيجي في دوائر الإمبراطوريات الكبرى، إلى استخدام طاقة الدين والمشاعر الدينية لخلق استقطاب جديد يبرر سياساتهم التوسعية وحروبهم وسياسات استلحاقهم القصري للحضارات والثقافات الأخرى.

فهل نحن –وبعد أن انتهت حقبة الحرب الباردة– ندخل مرحلة يعيد فيها الفكر الليبرالي الغربي إنتاج نظرية «السلم الروماني Romana Pax».

وهل حقًا أن خطوط التماس والصراع الحقيقية والحتمية هي بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية؟

أو هل يمكننا أن ننهي للإنسانية انتهاء المخاطر وزوال كل التحديات التي تواجه السلام والتسامح والمحبة وقيم العيش المشترك، وتراجع خطر الحروب وقيم الأثرة والأنانية

والاستعمار بألوانه ومظاهره المختلفة باسترجاع الدين لدوره في صياغة حركة الشعوب والأمم وما تنتجه من حضارات وثقافات؟!

المؤسف في الأمر هنا، أنه لا يمكن لمخلص إلا أن يجيب بالنفي على هذا السؤال.. فإذا كان خطأ الإنسان بالأمس ناجمًا من قصوره في فهم الدين مما أدى به إلى نبذه كليًا، فإن جرم إنسان اليوم ينجم عن تزييفه لقيم الدين وإضفائه مسوحًا دينيًا على أيديولوجيات عنصرية واستعلائية، وإضفاء طابع التشدد والتعصب على شعائر العبادة وحياة الناس الاجتماعية، والترويج لأفكار التفوق العرقي وهلوسات عديدة لا يتسع المجال لذكرها. وإذا كان لي أن أعقد مقارنة هنا بين فداحة اختيار إنسان الأمس المستكبر والمتلهي عن الدين، وبين مخاطر وآثار التشوهات العنصرية التي تلصق بالدين في عالم اليوم، فإنني لا شك ميال إلى إدانة الأخيرة أكثر لشدة ما تحمله من مخاطر إلى مستقبل الإنسانية بما يتوفر لها من طاقة أيديولوجية قادرة على تعبئة الناس ودفعهم إلى ممارسة التعصب والكراهية والانغلاق على الذات، وهو ما يتعارض مع مجمل القيم السماوية الحقة.

إن الطاقة التخريبية -إن جازت العبارة- التي من الممكن أن تنجم عن تحريف دور الدين، أو إساءة تفسيره واستخدامه، تفوق بكثير ما يمكن أن ينجم عن تحييد الدين أو تجريده من بعده الاجتماعي والأخلاقي، كما حدث خلال رحلة قرن مضى من عمر البشرية.

إن تصحيح مفهوم الحضارة وتقويم دلالته، هو طريقنا الأكيد إلى إقرار التعدد الحضاري والتنوع الثقافي، تأسيسًا للتعايش السلمي والتسامح بين أمم وشعوب الإنسانية.. فالحضارة هي اجتهاد وإبداعات العقل البشري في عمليات تحديه واستجابته لشروط عصره الزمنية والمكانية، محتكمًا في ذلك إلى ميزان الشريعة، متأثرًا بثقافته، والتراث الذي خلفته له الرسالات السماوية المتعاقبة، سلبًا أو إيجابًا.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد:25).

في هذا الشأن يقول الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله: «إن الحضارة تنبعث بدافع العقيدة الدينية، ولذلك فإن علينا أن نبحث في كل حضارة عن أصلها الديني».

أليست المسيحية التي تحاول اليوم الليبرالية الغربية التمسح بها، هي ذات المسيحية التي تم قصفها ودكها دكًا منذ قرون عديدة من قبل أرباب الفكر الغربي، بشقيه الليبرالي والشمولي؟!

وهو عينه السؤال الذي نوجهه إلى رموز قادة الفكر المسيحي الغربي ورجال الكنائس الغربيين، ونحن نراهم يصطفون طوابير متحفزة لخوض جولة الهجوم الغربي الراهنة على الإسلام والعالم الإسلامي، تارة تحت لواء (حقوق الإنسان) وقانون الاضطهاد الديني الذي استصدروه من الكونغرس، وتارة أخرى تحت مسمى حماية الحريات الفردية وحقوق الأقليات.

وإذا ما تأملنا خطاب رموز الفكر المسيحي المعاصر، المجيّش في الحملة الراهنة، لوجدناه خطابًا مهجنًا يقوم على مزج العلمانية (اللادينية)، منهجًا وقيمًا فلسفية اجتماعية، بمفردات ومنطلقات دينية من حيث لا يجمع بينهما رابط، ولا تصل بينهما صلة، وهي حالة لا يحتاج المتأمل فيها إلى جهد كبير ليتوصل إلى حقيقة أن هذه الحضارة الغربية وبرغم عنفوان طغيانها المعاصر وقوتها الاقتصادية والمادية الظاهرة والمتغلبة، هي حقيقة في حالة أزمة أو مأزق، تجعل الإنسان الغربي في أمس الحاجة إلى البحث عن ذاته، وهنا يكمن دور الأمة الإسلامية.

العولمة والتفاعل الحضاري

فالأمة الإسلامية وبما حُمِّلت به من رسالة عالمية خاتمة، لا يمكنها إلا أن تكون حاضرة في أي عصر، مشاركة في حضارته مشاركة إيجابية، ومن ثم فسؤال البعض حول موقف المسلمين من العولمة: أهو قبول أو رفض ?! استلحاق أو سلبية ?! هو سؤال يخرج عن دائرة المنطق من ناحيتين:

الأولى أن الأمة الإسلامية مكلفة بحمل رسالة الإسلام إلى الناس وتحقيق واجب الشهادة بإقامة النموذج السليم لترجمة شريعة القرآن، أسرة ومجتمعًا ونظام حياة ونموذجًا حضاريًا، ومن ثم فإن عدم تقديم ذلك النموذج وإقامة المثل في حياة مجتمعاتها هو نكوص عن أداء واجب الرسالة والأمانة.. وهو بافتراض أن تقبله أو تقع فيه قلة قليلة، فلا يتصورن أحد أن تقع فيه جموع المسلمين وهي تتلو كتاب الله الذي تعهدته العناية الإلهية بالحفظ إلى يوم الدين.. ولهذا فالاستلحاق الغربي للعالم الإسلامي متعذر، مهما بلغت قوة التأثير في إطار هذه العولمة وما حملته من تحديات ترتكز في مجملها على قوة وسائل المدنية الحديثة.

- وأما الثانية، فإن خيار السلبية أو الرفض، خيار مستحيل غير قابل للتحقيق في الواقع بحكم طبيعة هذا العصر الذي نعيشه، حيث اختزلت المسافات وتحطمت الحواجز والحدود، وبات لا مجال فيه للانغلاق أو العزلة التي هي أصلاً مخالفة لروح وحضارة الإسلام العالمية المنفتحة المبشرة.

فتفاعل المسلمين مع عصرهم ومع محيطهم، وتحقيق التعارف بين حضارتهم وحضارات الإنسانية الأخرى، هي حتميتهم وقدرهم، أوجبته عليهم الرسالة العالمية الخاتمة التي آمنوا بها وحملوا لواء حضارتها جيلاً بعد جيل وعصرًا بعد عصر!

أما وسيلتهم فهي الدعوة وتحقيق المثل والنموذج، وإقامة العدل والمجادلة بالتي هي أحسن.. وفي زعمي، إذا كان التكليف بالشق الأول ينصرف إلى عموم المسلمين

وجموعهم، فإن واجب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن ينصرف إلى أهل الذكر من العلماء والمفكرين والمثقفين القادرين على الوفاء بمسؤوليات هذا الواجب. عبر مختلف القنوات والوسائل التقليدية والحديثة.. وتاريخ حضارتنا الإسلامية قد أورثنا تراثًا هائلاً وإبداعات مشرقة في هذا السبيل، يمكن استلهام خبراتها، واقتباس إشراقاتها بما يتفق مع روح ووسائل عصرنا الراهن تحقيقًا للتعارف والتعاون بين حضارات الإنسانية لما فيه خيرها وصلاحها.

يقول الأستاذ مُحَمَّد أبو زهرة رحمه الله في تفسير آية الجعل الإلهي:-

«إن التعارف يوجب التعاون في رفع الحق وخفض الباطل، وسيادة الفضيلة والمساواة العادلة بين الناس، وأن يدفع الظلم عن كل بني الإنسان، وأن يقف أهل كل إقليم أنفسهم لمساندة الضعيف في أي أرض من أرض الله، حتى لا يفسد الظلمُ أهلَ الأرض».

وما الذي تحتاج إليه الإنسانية المعذبة في عالم اليوم أكثر من هذا، إحقاقًا للحق، ونشرًا للعدل، وهما ركيزتا السلم؟

الحوار

من هنا يكون الاجتماع على مائدة الحوار واجبًا شرعيًا لذاته، لأنه يحقق فريضة التعارف، وهو واجب لوظيفته المتوخاة وهي التعاون في مدافعة الباطل ومجاهدته، والانتصار للحق وتغليبه، ونشر قيم العدل بين الناس سواء.

- فالحوار بهذا المفهوم إذن غاية في حد ذاته نزولاً عند حكم شرعي.. وهو وسيلة التعاون بين المتباينين لتحقيق القيم العليا والغايات الجامعة.

أما قاعدته وإطاره فهي مواطن اللقاء، من حيث الأساس المشترك بين الأديان وهو التوحيد الخالص، الذي لا يخالطه الشرك الظاهر أو الشرك الخفي الذي يتجسد في

طاعة الناس بعضهم بعضًا من دون الله.

– وهنا نلحظ ما يميز المحاورة عن المفاوضة، التي تحمل من المضامين السلبية أكثر مما تحمله من مضامين إيجابية، وسمتها الأساسية الافتقار لروح وإطار التعاون في العلاقة بين طرفيها أو أطرافها، بل هي أداة من أدوات الصراع وإن كانت وظيفتها إيجابية، وهي تجنب النتائج الوخيمة التي تنجم بحدوث الصدام.. وقد خلصت مناهج البحث الحديثة من دراستها لظاهرة الصراع وعلاقات القوة والقدرة إلى وضع علم بات يعرف بعلم التفاوض.

إن حرص المتحاورين على مسار ومصير الحوار هو ما يوجب وضع منهجية ضابطة لأعماله، باعتباره رسالة مشتركة في الديانات السماوية، وهو الذي يجعلنا نعقد مثل هذه المقارنة ونجتهد في تحديد الأسس التي يجب أن يبنى عليها في هذه المرحلة من مراحل أطواره، وبما يميزها عن سواها من المراحل، وبما يكفل للمتحاورين مقومات النجاح في إرساء قواعد التعاون في مواجهة المستجد من التحديات، التي يجب أن ينطلق الحوار من تحديد أولوياتها، وترتيب أسبقياتها، مراعيًا تعدد زوايا النظر في ذلك.. ومشاركة جميع الأطراف في وضع أجندة الحوار، يعزز فعالية المشاركين فيه، ويقوي أواصر التعاون من خلاله.

يمكن إيجاز هذه المنهجية في النقاط التالية:–

– **أطوار ومراحل الحوار السابقة، استنفدت أغراض وغايات المجادلات العقدية**، وتناولت، باستخدام الأدوات والمناهج الفلسفية والكلامية، أغلب الرموز والمقدسات والتصورات الدينية عند كل فريق من قبل الفريق الآخر، وقد بلغت تلك الحصيلة المتراكمة من التراث ذروتها في المرحلة التي سبقت تحولاً في موقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام باعترافها به كدين سماوي، وهو ما يمكن التعارف على

تسميته بمرحلة الحوار السلبي، الذي اتسم بتحصن كل فريق في خندق إطاره المرجعي، ليقذف الفريق الآخر بكل ما يمكن أن ينفي شرعية وجوده، في ظل موقف رفض (الآخر) الذي كانت تقفه الكنيسة.

- **إن وضع التصورات العقيدية والأحكام الشرعية على أجندة الحوار، كموضوع للمراجعة، من شأنه أن يعود بالحوار خطوات كبيرة إلى الوراء،** ويفسح المجال (لظاهرة الانقضاض) في الحوار لتبرز من جديد، فتحجب عنا ضوضاؤها الإيقاع الطبيعي للتعاون، فينقلب إلى مناظرات بيزنطية لا غاية ترتجى منها ولا نهاية.

- **ينبغي تجنب الوقوع في أسر عقلية (الجزر المنعزلة)**، المصابة بعمى الأطر المرجعية، فالمحاور المصاب بهذا الداء غالبًا لا يرى إلا الإطار المرجعي الذي يعمل ضمنه، ولا يقر بوجود سواه.. والانغلاق على الذات المتضخمة هي السمة الأساسية لخطابه.. واستلحاق الآخرين به هي وسيلته لتحقيق ذاته، وهو ينظر إلى كل أبعاد الكرة الأرضية بصفتها أطرافًا.. أما حيث يقف هو ذاته، فذلك هو المركز، يتغافل عن حقيقة كروية الأرض، فلا يرى إلا (الأنا) حيثما امتد بصره.. والعقلية التي تتسم بمثل هذه الخصائص هي التي يمكن أن يخفي الأصبع الشجرة عن نظرها.. ومثالها الأوضح في مرحلتنا المعاصرة صاحب نظرية نهاية التاريخ.

- **ضبط الحوار بمنطلقاته الكامنة في القواسم المشتركة بين أطرافه،** وجعله خالصًا للمعلن من أهدافه، متنزهًا عن الغرضية التي قد تنزع لتحويله إلى مفاوضة يسعى كل طرف فيها لانتزاع تنازلات أو مكاسب على حساب الآخر وكأنها مباراة صفرية (Zero- Sum- Game) أو مساومة تجارية على طريقة (Win- Win Approach).

- **الحوار إرادة مشتركة، ومبادرات متقابلة، تتجه لخدمة غايات جامعة،**

ووسائله تتلمسها الجهود الفكرية لأطرافه متوافقة، والتعاون في الميادين التطبيقية خير وسيلة إيضاح لتعليم الناس دروس التسامح.

- **المشاركون في الحوار ورثة أنبياء**، يتأسون بسيرهم الذاتية، ويقتدون بمناهجهم الربانية، ويستخدمون مصطلحاتهم الدينية، ويتمثلون في التخاطب أساليب الرسل التي اتسمت بالحكمة والموعظة الحسنة والتسامح، ويتقيدون بمسؤولية البلاغ، ولا يسرفون في تأويلها حتى تتحول إلى وصاية على الناس.

حقوق الإنسان

تأسس العمل الدولي في مجال حقوق الإنسان باعتبارها قضية إنسانية تهم البشرية جمعاء في إطار المنظمة العالمية (الأمم المتحدة)، التي تتكون من دول وبمبادرة من دول، وهنا تجدر الإشارة بذلك الجهد الدولي الذي استطاع أن يجعل من تلك الحقوق والحريات العامة للأفراد شرعية دولية، وركيزة أساسية من ركائز النظام القانوني الدولي، اكتسبت فيه الحجية القانونية والأخلاقية برغم أنها ظلت قاصرة عن بلوغ مرامها بما ورثته عن ذلك النظام من قصور في إقامة سلطة عادلة تملك من الأدوات والوسائل ما يمكنها من فرض القواعد القانونية المستقرة بالقوة اللازمة على مخالفيها.

كما أن الفكرة (حقوق الإنسان) قد تم تحجيمها والانحراف بها عن غاياتها النبيلة عندما تم اغتصابها من قبل قوى دولية متغلبة لتستخدم كأداة أيديولوجية في الصراع خلال مرحلة الحرب الباردة بين القطبين التقليديين في النظام الدولي المنهار، حتى ينتهي الأمر إلى وأدها كليًا في ساحات الممارسة العملية بعالم الجنوب، عندما قرنت مع بدعة «المصالح الحيوية» التي لا يحدها حد ولا يقيدها قيد، فتوسلت بازدواجية المعايير لتحقيق غايات غير نبيلة، فإذا بالغاية الأخلاقية -بغض النظر عن أساسها الأيديولوجي- تتحول عن مكانتها باعتبارها قيمة إنسانية مطلقة، لتكون

وسيلة رخيصة للابتزاز والبلطجة الدولية، فمنيت رحلة الحضارة الإنسانية بإخفاق كبير، ولم تبلغ غايتها، ولم يكن من العسير على ذي بصيرة أن يتوصل إلى نتيجة أن الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وجعله خليفة في الأرض، لا نجاة له من زيغ نفسه:﴿ ...إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ... ﴾(يوسف:53)، ولا عاصم له من انحرافات هواه إلا بتحكيم الشرائع المنزلة والتزام مقاصدها الكلية.. أما النزعات اللادينية والاجتهادات الوضعية فمهما تسامت لن تستطيع أن تسمو على محدودية المكان والزمان و(الأنا).

ومن هنا تأتي الحاجة إلى إعادة النظر في أصول القيمة وتأصيلها، وتظهر الضرورة لتحقيق التعدد في الأطر والوسائل، حتى لا يحتكر أحد حق التحدث باسم المبدأ لنبيل (حقوق الإنسان)، فمن شأن الاحتكار في هذا الشأن كما في غيره أن يوقع صاحبه في ذات المنزلق الذي وقعت فيه الحضارة الغربية.

ثم إن الجهود الدولية، كما سبق الإشارة، بحكم غلبة الطبيعة الحكومية عليها، تصدر في حالتي التعاون والخصام عن أولويات ومصالح تتسم بالتغيير والتبدل من جهة وتعكس موازين القوى بين أطراف تلك العلاقات الدولية، أكثر مما تعكس المساواة في مراكزها القانونية أو العدالة في توازن مصالحها، وهي في كل هذا ترتبط بشبكة تفاعلات ذات أبعاد مركبة، منها ما هو استراتيجي أو اقتصادي أو سياسي، وتحكمها ضوابط بقدر ما تدنو بها من الواقعية، فهي تنأى بها عن المبادئ السامية والمثل العليا.

ومن ثم فتطوير وتفعيل الهيئات غير الحكومية (الأهلية) التي تنشط في هذا الميدان وعلى نحو مستقل وموازٍ للجهود الحكومية، والعمل على تطوير جهودها

بتقديم إضافات نوعية، من شأنه أن يثري الجهاد الإنساني في سبيل هذه الغاية، ويسد في ذات الوقت فراغًا خطيرًا، فسح المجال لقوى واتجاهات لا دينية لتتمدد في ذلك الفراغ بإطلاق المبادرة تلو الأخرى لتقليص حيز الدين المهمش أساسًا، ولتتمادى على حساب آخر ما تبقى للدين من قدسية في التشريعات الحياتية ألا وهو حيز الأسرة والعلاقة الزوجية.

والعمل الأهلي، أو كما يطلق عليه في عالمنا اليوم المجتمع المدني، هو من الأمور التي كانت رائدة في مضمارها حضارتنا الإسلامية.

نخلص من هذه المراجعة لحالة التحدي والاستجابة التي يعيشها مسلمو اليوم، في محيطهم الإنساني، إلى أنها مشاركة إيجابية في تدافعات هذا العصر، لا مجال للتقاعس عنها، أو التهاون في أداء واجباتها، كما لا غنى للحضارة الإنسانية عن إسهامات الحضارة الإسلامية فيها، لما تستند إليه من وحي منزل فيه شفاء ورحمة للإنسانية الحايرة.

وسبحان الله القائل: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف:128). صدق الله العظيم

«» ﷺ (1) رضي الله عنه

(1) .. .